سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

جمع وترتيب

محمود المصري
أبو عمار

مكتبة الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

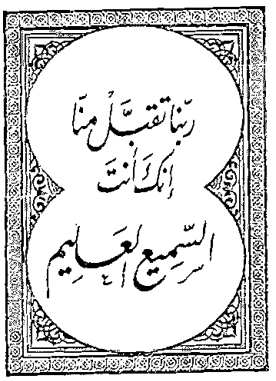

حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢٠٩٤٤/ ٢٠٠٥

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر القاهرة ت: ٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت: ٥١٤٧٩٧٤/ ٠١٠١٤٣١١١٤

إهداءٌ واعترافٌ لأصحاب الفضل

وكما تعودت دائمًا أن أقدم هذا الإهداء والاعتراف لأصحاب الفضل فوالله أنا لا أستطيع أن أنساهم أبدًا وذلك من باب قول الحبيب ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»(١).

وفى مقدمة الناس جميعًا أقدم هذا الإهداء.

• إلى أمى الحبيبة (رحمة الله عليها):

وكيف أنساك يا أمى الحبيبة.. يا من ضحيت من أجلى بكل شىء كيف أنسى أيامك العامرة بالعطاء والتضحية والرحمة والحنان.. والله أنا لا أستطيع أن أوفيك حقك ولو كتبت ألف كتاب ولذلك أقول لك: جزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ـ فهو سبحانه القادر على أن يجزل لك العطاء فى الدارين ـ فأسأله سبحانه أن يرحمك رحمة واسعة وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة وأن يجعل أعمالى كلها فى ميزان حسناتك وأن يجمع بينى وبينك فى الجنة.

• إلى أبى الحبيب (حفظه الله):

أسأل الله ـ تعالى ـ أن يُعجِّل لك بالشفاء وأن يبارك فى عمرك وأن يرزقنى وإياك ـ وسائر المسلمين ـ حُسن الخاتمة.. فجزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فلقد كنت ومازلت نِعم الأب الرحيم.

• إلى أصحاب الفضل من علماء الأمة:

إلى أستاذى الذى تعلمت منه الرحمة والأخلاق قبل العلم.

إلى فضيلة الدكتور/ زكى محمد أبو سريع.

إلى فضيلة الشيخ/ محمد حسان.

إلى فضيلة الشيخ/ محمد عبد المقصود.

إلى فضيلة الشيخ/ أبى إسحاق الحوينى.

---

(١) رواه أحمد والترمذى والضياء عن أبى سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

إلى فضيلة الدكتور/ سيد حسين العفانى:

جزاكم الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فأنا لا أنسى أبدًا فضل واحد منكم ولو كان مجرد كلمة تشجيع أو بسمة عند اللقاء أو دعوة بظهر الغيب أو نصيحة غالية.

• إلى الأخ الحبيب الأستاذ/ طارق الشوربجى:

إن الأخوة الصادقة عُملة نادرة فى هذا الزمان.. فما أجمل أن تلتقى القلوب المؤمنة على المحبة الصادقة فى الله (جل وعلا).

فأسأل الله أن يجمعنى وإياك مع المتحابين (فى الله) فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

• إلى الأخوين الكريمين الحبيبين/ أشرف أبو طالب وأحمد البحيرى.. حفظهما الله:

جزاكما الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنى وإياكما حُسن الخاتمة وأن يجمعنا مع النبى ﷺ فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

• إلى زوجتى الغالية/ أم عمار:

جعل الله أيامك عامرة بالعطاء لدينك.. عامرة بالسعادة.. عامرة بالإخلاص.. وجعل الله آخرتك عامرة بالنعيم والرضوان.

• إلى أبنائى (عمار، وهاجر، وسارة):

أسال الله ـ جل وعلا ـ أن يحفظكم وأن يبارك فيكم وأن يجعلكم من عباده المخلصين الطائعين وأن يستخدمكم لنُصرة دينه وأن يجعلكم فى ميزان حسناتى وأن يجمعنى بكم فى جنته ومستقر رحمته.

• إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة:

والله ما نسيت الدعاء لكم فى صلاتى ـ وأنا ساجد بين يدى الله ـ فلا تنسونى من دعوة صالحة بأن يغفر الله لى ذنوبى وأن يرزقنى الإخلاص فى القول والعمل وأن يرزقنى حُسن الخاتمة وأن يجمعنى بكم فى جنته إخوانًا على سرُر متقابلين. فجزاكم الله عنى خير الجزاء فى الدنيا والآخرة.

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح عليه أمر أولها.

* ومما لا شك فيه أننا جميعًا نعيش زمن الغربة الثانى الذى أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ عندما قال: «إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء»(١).

* فنحن نعيش مرحلة عصيبة ـ بكل المقاييس ـ فلقد انتشرت الشُّبهات والشهوات وانصرف كثيرٌ من الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات وأصبح المسلم القابض على دينه يعيش كل أنواع الغربة فكان لابد من رؤية واضحة ليعرف الغرباء أين يقفون وكيف يتحركون وأى طريق يسلكون؟! ولن تتضح تلك الرؤية إلا من خلال وقفة صادقة مع سيرة الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.. فإن سيرته ﷺ تربط على قلوب الغرباء ـ بإذن الله ـ وذلك عندما يتأملون كيف ابتُلى النبى ﷺ وكيف صبر وثبت على طريق دعوته المباركة حتى دانت أرض الجزيرة كلها لله (عز وجل).. ومن ثم دانت الأرض كلها لله (جل وعلا).

* فسيرة النبى ﷺ مثالٌ يُحتذَى ونبراسٌ يُقتَدى.. وبالوقوف على سيرته ﷺ تحيا القلوب وباقتفاء آثاره تحصل السعادة وتكون القدوة بجميل الخصال ونبيل المآثر والفعال.

(١) أخرجه مسلم عن ابن عمر.

* وسيرة النبى ﷺ ليست قصة تُتلى ولا مدائح تُنسج فى يوم ميلاده كما يفعل كثير من الناس وإنما سيرته منهج حياة متكامل نعرف من خلالها كيف نعيش الأسوة والقدوة الحقيقية وكيف نعيش الحياة الطيبة التى لا تكون إلا فى ظل الإيمان بالله (جل وعلا) واقتفاء أثر رسول الله ﷺ بأن نلتزم سُنته وأن ندعو بدعوته ﷺ وأن نعرف كيف استطاع النبى ﷺ فى فترة وجيزة ـ لا تساوى فى عمر الزمان شيئًا ـ أن يصنع رجالاً أطهارًا وأن يقيم بهم دولة للإسلام فى وسط هذا الركام الهائل من الجاهلية الجهلاء.

* إن الإسلام وحده هو القادر (بإذن الله) على أن يضىء صفحة الكون المظلم وأن يبدد ظلام الجاهلية.. وحسبُك إذا أردت أن تعرف حال الناس قبل مبعث النبى ﷺ أن تقرأ تلك الكلمات لتقف على تلك الحقيقة.

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «.. إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

ولما كان جعفر بن أبى طالب مهاجرًا إلى الحبشة ودار هذا الحوار المعروف بينه وبين النجاشى قال له جعفر (رضى الله عنه): «أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونقطع الأرحام ونسىء الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً..».

وكذلك تدبر معى قول حذيفة (رضى الله عنه) ـ كما فى البخارى ـ عندما قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت: يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ـ وذكر الحديث».

* فالشاهد أن الكون كله كان فى جاهلية وشر.. وشاء الله (عز وجل) أن يبعث حبيبه محمدًا ﷺ لينقل الكون كله من أدران الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان فجاء ليملأ القلب إيمانًا والعقل حكمة والنفس يقينًا والكون عدلاً والدنيا رحمة والأيام سلامًا والليالى أمنًا.. واستطاع ـ بإذن الله ـ أن يحول هذا المجتمع الجاهلى إلى دولة تدين لله (جل وعلا) وأن يصنع رجالاً كان الواحد منهم يساوى أمة بأكملها.

ولذا قال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ:

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ ، يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا، وحوَّل إيمانهم بالإسلام عملاً، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات وألوفًا ولكنه

لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطى، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله).

* فما أحوجنا ـ والله ـ فى هذا الزمان إلى أن نتعايش مع سيرة النبى ﷺ من أولها لآخرها لنأخذ منها العظة والعبرة ونعيش الأسوة والقدوة.. فهو الحبيب المصطفى ﷺ الذى اصطفاه الله لنفسه وصنعه وربَّاه على عينه ليربى به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان.

فهو خاتم الرسل وذروة الصلاح الذى وصلَ السماء بالأرض، والدُّنيا بالآخرة.

* إنه بسيطٌ فى عظمته، سهلٌ فى هيبته، لا تراه إلاَّ وتحبه، ولا تخالطه إلاَّ وترتاح له، حجته القرآن، وقبلته الكعبة، ودينه الحنيفية، ومنهجه الوسط، ودعوته التوحيد، أَتى ليضع الآصار والأغلال، وبُعثَ لُيحطم الأوثان والأَصنام، وأُرسل للعالمين رحمة، صاح فى أُذن الدُّنيا، فتهاوت على صوته أَعمدة البغى، وانهارت بكلماته أَبنية الظلم، عاش الفقر فتحلّى بالصبر، وتذرّع بالتحمل، فبيّن بسيرته ضآلة الدُّنيا وحقارتها، وعاش الغنى فشكر المنعم، وواسى الخلق، وعلَّمَ البرية فصول الجود، وملاحم البذل[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وجوارحنا مع سيرة حبيبنا وقدوتنا وأسوتنا محمد بن عبد الله ﷺ.

* ولقد حرصت كل الحرص على أن أجمع بين ثنايا هذا الكتاب كل الأحاديث الصحيحة والحسنة لأضع بين يدى إخوانى وأخواتى مادة نقية خالية من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.. والله وحده هو الذى يعلم قدر الجهد الذى بذلته لأقدم للأمة سيرة الرسول ﷺ صحيحة ويسيرة فى آن واحد ـ أسأل الله أن يتقبل منى هذا الجهد وأن يجعله خالصًا لوجهه ـ وأنا لا أدّعى أننى قدمت للأمة كتابًا يليق بسيرة النبى ﷺ.. كلا كلا.. فلو اجتمع علماء الأمة ودعاتها ليقدموا للكون سيرة تليق بقدر ومكانة النبى ﷺ ما استطاعوا.. فقدر النبى ﷺ عظيم وجليل ولا يعرف قدر الحبيب النبى ﷺ إلا الرب العظيم العلى.

فأسأل الله (عز وجل) أن ينفع بهذا الكتاب كل من رام الانتفاع به وأن يجعله حاديًا

(١) حدائق ذات بهجة (ص:١٤)/ للشيخ عائض القرنى.

لنا للسير فى طريق أهل الإيمان الذين ترتقى قلوبهم إلى درجة الإحسان وترتقى أرواحهم وأجسادهم إلى النعيم فى الجنان والفوز بالرضوان فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

مزايا السيرة النبوية وأهمية دراستها

تجمع السيرة النبوية عدة مزايا تجعل دراستها متعة روحية وعقلية وتاريخية، كما تجعل هذه الدراسة ضرورية لعلماء الشريعة والدعاة إلى الله والمهتمين بالإصلاح الاجتماعى، ليضمنوا إبلاغ الشريعة إلى الناس بأسلوب يجعلهم يرون فيها المعتصم الذى يلوذون به عند اضطراب السبل واشتداد العواصف، ولتتفتح أمام الدعاة قلوب الناس وأفئدتهم، ويكون الإصلاح الذى يدعو إليه المصلحون أقرب نجاحًا وأكثر سداداً.

ونجمل فيما يلى أبرز مزايا السيرة النبوية:

أولاً: أنها أصح سيرة لتاريخ نبى مرسل، أو عظيم مصلح، فقد وصلت إلينا سيرة رسول الله ﷺ عن أصح الطرق العلمية وأقواها ثبوتًا.

ثانيًا: إن حياة رسول الله ﷺ واضحة كل الوضوح فى جميع مراحلها، منذ زواج أبيه عبد الله بأمه آمنة... إلى وفاته ﷺ، فنحن نعرف الشىء الكثير عن ولادته، وطفولته وشبابه، ومكسبه قبل النبوة، ورحلاته خارج مكة، إلى أن بعثه الله رسولا كريمًا، ثم نعرف بشكل أدق وأوضح وأكمل كل أحواله بعد ذلك سنة فسنة، مما يجعل سيرته عليه الصلاة والسلام واضحة وضوح الشمس.

ثالثًا: إن سيرة رسول الله ﷺ تحكى سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، فلم تُخرجه عن إنسانيته، ولم تُلحق حياته بالأساطير، ولم تضف عليه الألوهية قليلاً ولا كثيراً، وإذا قارنّا هذا بما يرويه المسيحيون عن سيرة عيسى عليه السلام، وما يرويه البوذيون عن بوذا، والوثنيون عن آلهتهم المعبودة، اتضح لنا الفرق جليًا بين سيرته عليه السلام وسيرة هؤلاء.

رابعًا: إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لكل النواحى الإنسانية فى الإنسان، فهى تحكى لنا سيرة محمد الشاب الأمين المستقيم قبل أن يكرمه الله بالرسالة، كما تحكى لنا سيرة رسول الله الداعية إلى الله الملتمس أجدى الوسائل لقبول دعوته، الباذل منتهى طاقته وجهده فى إبلاغ رسالته.. كما تحكى لنا سيرة الرسول المربى المرشد الذى يشرف على تربية أصحابه تربية مثالية ينقل فيها من روحه إلى أرواحهم، ومن نفسه إلى نفوسهم، ما يجعلهم يحاولون الاقتداء به فى دقيق الأمور وكبيرها.

وسيرته تحكى لنا سيرة المحارب الشجاع، والقائد المنتصر، والسياسى الناجح، والجار الأمين، والمعاهد الصادق.

وقصارى القول: إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لجميع النواحى الإنسانية فى المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد، وكل أب، وكل زوج، وكل صديق، وكل مربى، وكل سياسى، وكل رئيس دولة، وهكذا.

خامسًا: إن سيرة محمد ﷺ وحدها تعطينا الدليل الذى لا ريب فيه على صدق رسالته ونبوته، إنها سيرة إنسان كامل سار بدعوته من نصر إلى نصر، لا على طريق الخوارق والمعجزات، بل عن طريق طبيعى بحت، فلقد دعا فأُوذى، وبلَّغ فأصبح له الأنصار، واضطر إلى الحرب فحارب، وكان حكيمًا، موفقًا فى قيادته، فما أزفت ساعة وفاته إلا كانت دعوته تلف الجزيرة العربية كلها عن طريق الإيمان، لا عن طريق القهر والغلبة[1].

* * *

• أهمية دراسة السيرة النبوية:

وأما عن أهمية دراسة السيرة النبوية فهى كثيرة ومنها:

١ ـ فهم شخصية الرسول ﷺ (النبوية) من خلال حياته وظروفه التى عاش فيها، للتأكد من أن محمدًا عليه الصلاة والسلام لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه قبل ذلك رسول أيّده الله بوحى من عنده وتوفيق من لدنه.

٢ ـ أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى فى كل شأن من شئون الحياة الفاضلة، كى يجعل منها دستورًا يتمسك به ويسير عليه ولا ريب أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى فى ناحية من نواحى الحياة فإنه واجد كل ذلك فى حياة رسول الله ﷺ على أعظم ما يكون من الوضوح والكمال. ولذا جعله الله قدوة للإنسانية كلها إذ قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

٣ ـ أن يجد الإنسان فى دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده، إذ أن كثيرًا من آيات القرآن إنما تفسرها وتجلّيها الأحداث التى مرت برسول الله ﷺ ومواقفه منها.

---

(١) السيرة النبوية دروس وعبر/ د.مصطفى السباعى (ص ٩: ١٢) بتصرف.

٤ ـ أن يتجمع لدى المسلم من خلال دراسة سيرته ﷺ أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان منها متعلقًا بالعقيدة أو الأحكام أو الأخلاق، إذ لا ريب أن حياته عليه الصلاة والسلام إنما هى صورة مجسدة نيِّرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه.

٥ ـ أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامى نموذج حىّ عن طرائق التربية والتعليم، فلقد كان محمد ﷺ معلمًا ناصحًا ومربيًا فاضلاً لم يأل جهدًا فى تلُّمس أجدى الطرق الصالحة إلى كل من التربية والتعليم خلال مختلف مراحل دعوته.

وإن من أهم ما يجعل سيرته ﷺ وافية بتحقيق هذه الأهداف كلها أن حياته عليه الصلاة والسلام شاملة لكل النواحى الإنسانية والاجتماعية التى توجد فى الإنسان من حيث إنه فرد مستقل بذاته أو من حيث إنه عضو فعال فى المجتمع[1].

٦ ـ أن السيرة منهج حياة للفرد والأسرة والمجتمع.

٧ ـ أننا نعرف من خلال السيرة قدر النبى ﷺ ومكانته وكيف أن الله (عز وجل) عصمه من الناس وأيده بالملائكة فى يوم بدر والأحزاب وحُنين.

٨ ـ وكذلك نعرف من خلال السيرة قدر أصحابه (رضى الله عنهم) وكيف أنهم ضحوا من أجل هذا الدين العظيم بأنفسهم ودمائهم وأموالهم وأولادهم من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله).

٩ ـ أن السيرة فى ذاتها هى معجزة من معجزات الرسول ﷺ.

١٠ ـ معرفة أسباب النصر وأسباب الهزيمة وذلك من خلال الوقوف على الغزوات وما حدث فيها.

١١ ـ معرفة الطريق الأمثل لإزالة غُربة الإسلام الثانية فإن النبى ﷺ لما قال: «إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ» كان هذا الحديث بشارة عظيمة لنُصرة الإسلام فى عصرنا هذا.. وذلك لأن الإسلام بدأ غريبًا فى عهد النبى ﷺ فاستطاع النبى ﷺ ـ بإذن الله ـ أن يزيل غربة الإسلام فى فترة وجيزة وأن يقيم للإسلام دولة مازال نورها يسطع فى جبين الزمان حتى يومنا هذا.. فكذلك سيعود الإسلام غريبًا وستزول غربته مرة أخرى وستعود العزة للمسلمين مرة أخرى.. كيف ذلك؟ من خلال دراسة

(١) فقه السيرة للبوطى (ص:١٥ ـ ١٦).

السيرة لنعرف كيف أزال النبى ﷺ وأصحابه غُربتهم الأولى لنُزيل نحن غربتنا الثانية ـ بإذن الله ـ.

فأسأله (جل وعلا) أن يُزيل غربتنا وأن ينصر المسلمين فى كل مكان وأن يردّ إلينا المسجد الأقصى وأن يطهر الأرض كلها من دنس اليهود وأن يرد المسلمين إليه ردًا جميلاً وأن يُحكِّم فينا كتابه وسُنة نبيه ﷺ وأن يرزقنا جميعًا حُسن الخاتمة وأن يجمعنا بالحبيب ﷺ فى جنته ومستقر رحمته فلقد اشتاقت قلوبنا إلى رؤية النبى ﷺ وأصحابه الطيبين.. اللهم لا تحرمنا رؤيتهم وصُحبتهم فى الجنة ولا تحرمنا لذه النظر إلى وجهك الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

النسب الشريف للنبى ﷺ

* قال الإمام البخارى رحمه الله: «هو أبو القاسم، محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصى، بن كلاب، بن مُرة، بن كعب، بن لؤى، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان»(١).

* قال ابن حزم: وعدنان بلا شك من ولد إسماعيل الذبيح رسول الله بن إبراهيم خليل الله ورسوله صلى الله على سيدنا محمد وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه(٢).

* وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضًا: «إلى ها هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف ألبته، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»(٣).

* وقال الذهبى ـ رحمه الله ـ فى كتابه السيرة النبوية: «وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء»(٤).

* وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وذلك أنه (أى إبراهيم عليه السلام) وُلد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة وولد له يعقوب أى من إسحاق كما قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١] ـ وهو إسرائيل ـ الذى ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النبوة وكثروا جداً، بحيث لا يعلم عددهم إلا الذى بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة، حتى ختموا بعيسى بن مريم من بنى إسرائيل.

---

(١) أخرجه البخارى (٣٨٥١) مناقب الأنصار/ باب: مبعث النبى ﷺ.

(٢) جوامع السيرة/ لابن حزم (٢) ط. فيصل أباد باكستان. بتحقيق أحمد شاكر.

(٣) زاد المعاد (١/ ٧١). ط. مؤسسة الرسالة.

(٤) الذهبى فى السيرة النبوية (ص:١).

وأما إسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها، كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى ولم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم وفخر بنى آدم فى الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى المكى ثم المدنى ﷺ .

فلم يوجد من هذا الفرع الشريف، والغصن المنيف، سوى هذه الجوهرة الباهرة، والدرة الزاهرة، وواسطة العقد الفاخرة، وهو السيد الذى يفتخر به أهل الجمع، ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة»[١].

مكانة النبى ﷺ بين قومه

لقد كان النبى ﷺ فى خير قبيلة وأشرف نسب .. وهكذا الأنبياء يكونون أشرف الناس نسبًا وأكمل الناس خَلقًا وخُلقًا.

لذا سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن نسب النبى ﷺ فقال: كيف نسبه فيكم» فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. ثم قال: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث فى نسب قومها»[٢].

* وعن أبى هريرة ـ رَضِىَ الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعثتُ من خير قرون بنى آدم قرنًا فقرنًا، حتى بعثت من القرن[٣] الذى كنت فيه)[٤].

* وعن واثلة بن الأسقع ـ رَضِىَ الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: (إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بنى إسماعيل كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم)[٥].

* وفى فضل قريش عن أم هانئ مرفوعًا «فضَّل الله قريشًا بسبع خصال: فضلهم بأن عبدوا الله عشر سنين لا يعبده إلا قرشى، وفضلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (ص:١٧٥) ط. دار عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه البخارى (١/ ٤٢) بدء الوحى.

(٣) القرن: كلُّ طبقة مقترنين فى وقت، وقيل قرن: لأنه يقرن أمةٌ بأمة وعالمًا بعالم، وقيل القرن: ثمانون سنة، وقيل أربعون، وقيل مائة سنة.

(٤) أخرجه البخارى فى المناقب، باب صفة النبى ﷺ رقم: (٣٥٥٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٧٦) كتاب الفضائل.

مشركون، وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها غيرهم ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش:١]، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية»(١).

* وعن الأشعث بن قيس ـ رَضِىَ الله عنه ـ قال: (أتيت رسول الله ﷺ فى وفد، ولا يرونى إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله! ألستم منا؟ فقال: (نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا(٢)، ولا ننتفى من أبينا) فكان الأشعث يقول: «لا أوتى برجل نفى قريشًا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد»(٣).

* وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال: أتى أُناس من الأنصار إلى النبى ﷺ فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت فى كباء(٤)، فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله ﷺ. قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ قال فما سمعناه، قط ينتمى قبلها ـ إلا أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلق خلقه، فجعلنى من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين، فجعلنى من خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا، فجعلنى من خيرهم بيتًا، وأنا خيركم بيتًا، وخيركم نفسًا)(٥).

* وعن كليب بن وائل قال: حدثتنى ربيبة النبى ﷺ زينب بنت أبى سلمة قال: «قلتُ لها: أرأيت النبى ﷺ أكان من مُضر؟ قالت: فممن كان إلا من مُضر، من بنى النضر بن كنانة»(٦).

---

(١) رواه البخارى فى التاريخ الكبير (١/ ١/ ٣٤١)، وابن عدى فى الكامل (١/ ٢٦٢)، والحاكم (٢/ ٥٣٦)، (٤/ ٥٤) وحسنه الألبانى لشواهده فى الصحيحة رقم (١٩٤٤).

(٢) نقفو امنا: أى لا نتهمها، ولا نقذفها.

(٣) أخرجه ابن ماجه فى الحدود: باب من نفى رجلاً من قبيلة: (٢٦١٢)، والبخارى فى التاريخ الكبير: (٤/ ١/ ٢٧٤)، وابن سعد فى الطبقات (١/ ٢٣)، وأحمد فى المسند: (٥/ ٢١١، ٢١٢) من طريق حماد ابن سلمة، عن عقيل بن طلحة السلمى، عن مسلم بن هيضم، عن الأشعث بن قيس به، وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناد صحيح، رجاله ثقات، لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائى، وذكره ابن حبان فى الثقات، وباقى رجال السند على شرط مسلم. قلت: وفى المسند قوله: (لا يرون أنى أفضلهم) من غير إلا وفيه تصحيف، والعبارة الصحيحة ما أثبتناه.

(٤) الكباء: الكناسة.

(٥) رواه الترمذى وأحمد وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢١٥ ـ ٢١٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ـ والحديث صحيح.

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ برقم: (٣٤٩١، ٣٤٩٢).

* بل لقد كان الحجر يعرف قدر النبى ﷺ فكان يسلم عليه قبل البعثة.

فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يُسلِّم علىَّ قبل أن أُبعث إنى لأعرفه الآن»(١). (٢)

خاتم النبيين ﷺ

عن أبى هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله. إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين»(٣).

الصفات الخلقية للحبيب ﷺ

كان رسول الله ﷺ أزهر اللون (أبيض مستنير مائل إلى الحمرة) واسع الجبين، أدعج العينين [الدعج شدة سواد العينين مع سعتهما]، وقيل أكحل، أهدب الأشفار (طويل الأشفار) مفلج الأسنان كَث اللحية تملأ صدره، عظيم المنكبين، رحب الكفين والقدمين، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، رجل الشعر (فى شعره حجونة أى تثنٍّ قليل) يضرب شعره إلى منكبيه، إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه.

ضخم الرأس والكراديس فى وجهه تدوير، ذا مشربة (وهى الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة كالقضيب) إذا مشى تقلع كأنما ينحط فى صبب [أى يمشى بقوة، والصبب الحدور)، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم، سواء البطن والصدر، أشهر المنكبين والذراعين وأعالى الصدر طويل الزندين، رحب الراحة، منهوس العقبين (أى قليل لحم العقب) بين كتفيه خاتم النبوة كزر الحجلة،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

(٢) قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ: قوله ﷺ: «إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث، إنى لأعرفه الآن» فيه معجزة له ﷺ وفى هذا إثبات التمييز فى بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى فى الحجارة ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ وقوله تعالى ﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده﴾ وفى هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزًا بحسبه ومنه الحجر الذى فر بثوب موسى ﷺ، وكلام الذراع المسمومة، ومشى إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبى ﷺ وأشباه ذلك. [مسلم بشرح النووى (١٥/ ٥٣)].

(٣) أخرجه مسلم (٢٢) (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تُطوى له الأرض ويجدّون فى لحاقه وهو غير مكترث، وكان يسدل شعر رأسه ثم فرقه، وكان يرجله ويسرح لحيته، ويكتحل بالإثمد كل ليلة فى كل عين ثلاثة أطراف عند النوم»(١).

* عن جابر بن سمرة. قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى. ثم خرج إلى أهله وخرجت معه. فاستقبله ولدان. فجعل يمسح خدى أحدهم واحدًا. واحدًا، قال: وأما أنا فمسح خدى. قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جُؤْنَة عطار(٢).

* عن أنس ، قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون. كأن عرقه اللؤلؤ. إذا مشى تكفأ ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ. ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ (٣).

* وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبى ﷺ قال: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيضَ أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أُنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وقُبض وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعة: فرأيت شعرًا من شعره فإذا هو أحمر فسألت فقيل إحمرَّ من الطِّيب»(٤).(٥)

* وعن أبى الطفيل قال: رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيرى. قال (الجريرى) فقلت له: كيف رأيته؟ قال كان أبيض مليحًا مقصدًا(٦).

* وعن البراء قال: ما رأيت من ذى لمة أحسن فى حلة حمراء من رسول الله ﷺ ،

---

(١) الإعلام بما فى دين النصارى من فساد وأوهام (٢٩١: ٢٩٢) للقرطبى ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووى (١/ ٢٥: ٢٦) ـ جوامع السيرة لابن حزم (٢١/ ٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠) (٢٣٢٩) كتاب الفضائل.

(٣) أخرجه مسلم (٨٢) (٢٣٣٠) كتاب الفضائل.

(٤) أخرجه البخارى (٦/ ٦٥٢) المناقب ـ ومسلم (١٥/ ١٠٠) الفضائل بمعناه.

(٥) قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ: قوله (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) المراد (بالبائن) زائد الطول أى هو بين زائد الطول والقصير، وهو بمعنى ما سبق أنه كان مقصدًا.

قوله: (ولا الأبيض الأمهق ولا بالآدم) (الأمهق) بالميم هو شديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهمه الناظر أبرص و (الآدم) الأسمر معناه ليس بأسمر، ولا بأبيض كريه البياض بل أبيض بياضًا نيِّرًا كما قال فى الحديث السابق أنه ﷺ كان أزهر اللون.

(٦) رواه مسلم (١٥/ ٩٣) الفضائل.

شعره يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير[١].

* وعن البراء قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير»[٢].

* وعن أبى إسحاق قال: سُئل البراء: أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر»[٣].

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ أشد حياء من العذراء فى خِدْرِها»[٤].

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشىء، ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه»[٥].

* وعن عبد الله بن كعب قال:سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال: «فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور ، وكان رسول الله ﷺ إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه»[٦].

* وعن أنس بن مالك. قال: دخل علينا النبى ﷺ فقال عندنا. فعرق. وجاءت أمى بقارورة. فجعلت تسلت العرق فيها. فاستيقظ النبى ﷺ فقال: «يا أم سليم! ما هذا الذى تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب[٧] ـ الطيب:العطر ـ.

* وفى رواية أنه قال: ففزع النبى ﷺ فقال: «ما تصنعين؟ يا أم سليم!» فقالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا. قال: «أصبت»[٨].

* * *

(١) رواه مسلم (١٥/ ٩١) الفضائل، والترمذى (١٣/ ١١٥، ١١٦) المناقب.
(٢) رواه البخارى (٦/ ٦٥٢) المناقب، ومسلم (١٥/ ٩٢) الفضائل.
(٣) رواه البخارى (٦/ ٦٥٣) المناقب، والترمذى (١٣/ ١١٦) المناقب.
(٤) أخرجه البخارى (٦/ ٦٥٤) المناقب.
(٥) رواه البخارى (٦/ ٦٥٤) المناقب، ومسلم (١٥/ ٩٠) الفضائل.
(٦) رواه البخارى (٦/ ٦٥٣) المناقب.
(٧) أخرجه مسلم (٨٣) (٢٣٣١) كتاب الفضائل.
(٨) أخرجه مسلم (٨٤) (٢٣٣١) كتاب الفضائل.

وإنك لعلى خلق عظيم

كان النبى ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول.

* وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدَّبه الله بها، وكل حليم قد عُرفت منه زلة، وحُفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا.

قالت عائشة: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[1]، وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضًا.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره كان يعطى عطاء من لا يخاف فقرًا، قال ابن عباس: كان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[2].

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذى لا يُجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفرَّ عنه الكمأة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أُحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه، قال على: كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه[3]. قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبى طلحة عرى، فى عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا»[4].

وكان أشد الناس حياء وإغضاء، وقال أبو سعيد الخدرى: كان أشد حياء من العذراء

---

(١) أخرجه البخارى (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخارى (٦)، ومسلم (٥٠) (٢٣٠٨).

(٣) أخرجه النسائى فى «الكبرى» (٥/ ٨٦٣٩)، وأحمد (١/ ٨٦، ١٢٦، ١٥٦)، وأبو يعلى (١/ ٣٠٢)، وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى» (ص٥٧)، ويشهد له حديث البراء ـ عند مسلم (٧٩) (١٧٧٦) ـ قال: كنا، والله! إذا احمرَّ البأسُ نتقى به، وإن الشجاع منا للذى يُحاذى به. يعنى: النبى ﷺ.

(٤) أخرجه البخارى (٢٩٠٨)، ومسلم (٤٨) (٢٣٠٧)، والترمذى (١٦٨٧)، والنسائى فى «الكبرى» (٥/ ٨٨٢٩)، وابن ماجه (٢٧٧٢)، وأحمد (١٢٥١٦) (٣/ ١٤٧).